تعبر عن حبه لهذه الربوع واحترامه لسادتها ، فإنهم ملوك ولكنهم مع ذلك إخوان كرماء يحكمون العربي الشقيق الضيف فى أموالهم ، ويقربونه فى ضيافتهم فيشعر أنه ربّ المنزل وأنه انتقل من أهل إلى أهل على ما بين الحجاز والشام من فرق واختلاف .

ولقد دهش النابغة لما رأى فتخيل أن البناء هناك من صنع الجنّ ، فعيناه لم تشهدا قبل « تدمر » أعمدة صاعدة إلى السماء وعمارة شامخة إلى العلاء كما شهدتا خلال الزيارة ، لذلك رأى للنعمان فضلا على الناس كلهم ، وجعل له الطاعة والحب ، واعترف بأنه يهب المائة الأبكار ، فلما أراد أن يصف جوده امتدحه بأنه أشد من سيل الفرات حين تمده الأودية فيزمجر ويخيف :

فما الفُراتُ إذا هَبَّ الرياحُ له ... تَرْمى غَوَاربُه العبريْن بالزَّبَد[1]

يمدُّهُ كلُّ وادٍ مُتْرَع لجبٍ ... فيه ركامٌ من الينبُوت والخضدِ[2]

يظلُّ مِنْ خوفِهِ الملَّاحُ مُعْتَصِماً ... بالخيزرانة بَعْدَ الأَيْنِ والنجدِ[3]

يوماً بأَجْوَدَ مِنْهُ سَيْبَ نافلةٍ ... ولا يحولُ عَطَاءُ اليَوْمِ دونَ غَدِ[4]

فأنت ترى هذه الصورة الجليلة التى صنعها النابغة ليرسم كرم النعمان إذ رسم الفرات فى أكمل ما يكون امتلاء ، فإذا عصفت به الرياح هاجت أمواجه وزادتها هيجاناً بما يترامى إليها من ركام الشجر حتى ليخاف الملاح الماهر ، فلا يستطيع تسيير سفينته إلا بحذر بالغ ، فيعتصم بذنب السفينة ويلقى فى سبيل ذلك عناء وعنتاً قويين . وكل هذا ليقول إن جود النعمان كالنهر بل هو

---

(١) الغوارب : الأعالى من الماء والأمواج .

(٢) الركام : الحطام المتكاثف — الينبوت : شجر الخشخاش ، وما تخضد : أى تكسر من الأشجار — يمد ماؤه : أى يعلو .

(٣) الخيزرانة : ذنب السفينة — الأين : الفتور والإعياء — النجد : العرق والكرب .

(٤) النافلة : الزيادة فى العطاء — يحول : يمنع .